جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

دكتوراه اسلامي

المجابهة الاسلامية للحروب الصليبية

(دوافع الحروب الصليبية)

أ.د. حنان عبد الرحمن طه

دوافع الحروب الصليبية

حدث جلل مثل الحروب الصليبية لم يحدث صدفه دون مقدمات ودوافع حقيقية و الغريب في الامر ان البعض يغزو سبب قيام الحروب الصليبية الى عامل معين كان يكون ديني او سياسي او اجتماعي دون غيره وهذه مفارقة كون الحدث التاريخي لا يمكن ان يحدث دون بقية العوامل الأخرى التي تتظافر معا، نعم قد يكون العامل الديني مثلا هو السبب الرئيسي لقيام الحروب الصليبية في مرحلة ما من تاريخ الحروب الصليبية لكن لا يلغي بقية العوامل الأخرى وهذا ما يمكن يلاحظ في الكثير من الحملات الصليبية فقد كان العامل الديني دور بارز خصوصا في الحملة الصليبية الأولى لكن الحملة ذاتها كان تضم الكثير من الامراء ذوي الاطماع السياسية وأن الكثير من المدن الايطالية كانت تقدم الخدمات لتلك الحملة لدوافع اقتصادية لا بل تلك الحملة شارك فيها الكثير من القتلة والمجرمين واللصوص بل حتى العاهرات وفي الحملة الصليبية

الرابعة على سبيل المثال يكاد يختفي العامل الديني ويحل محلها العامل السياسي فالحملة الصليبية الرابعة بدلا من التوجه الى مصر حرفت الى القسطنطينية وهم نصارى من ابناء جلدتهم واحتلوا القسطنطينية . لذا نسلط الضوء على دوافع

: الحروب الصليبية على حدى وحسب اهميتها ومن ابرز تلك الدوافع

اولا : العامل الديني

سبق وان أشرنا إلى مكانة الكنيسة في المجتمع الاوربي وكيف انها كانت الحاكمة والمتحكمة في اوروبا لكن لابد من تسليط

الضوء على الكنيسة في الدعوة للحروب الصليبية فكانت لها اهداف و مبررات اما فيما يتعلق بالأهداف أنها كانت تريد السيطرة على الاماكن المقدسة في القدس كونهم ظل الله في الارض وانهم هم اصحاب الكنيسة التي بناها بطرس والتي قال كما يزعمون هنا اجعل صخرتي وبناء

مملكتي وعليه فأنهم هم الورثة الشرعيون فعلا عن ذلك أنهم كانوا يهدفون ايضا بالسيطرة على الكنسية الشرقية والتي تدعى بالأرثوذكسية الامر الذي يقودنا بالضرورة الى توطئة لأسباب الخلاف بين الكنيستين . مما هو معلوم أن روما كانت مركزا للوثنية وكانت فيها من الإلهة ما يصعب حصره كان حينما بدأت المسيحية بالانتشار في اوروبا كان المسيحيون الأوائل قد تعرضوا الى الاضطهاد والسؤال الذي يطرح نفسه كيف تقبل الرومان المسيحية . في البدء ان الحضارة الهيلينية) اليونانية – الرومانية (كانت وثنية وكان الرومان غزو بلاد اليونان عسكريا لكن اليونانيين غزوا روما فكريا فكانت اللغة اليونانية هي لغة المحلية المتقدمة و الأرستقراطية وكان من نتائج ذلك أن الإلهة الوثنية في معظم انحاء اوروبا قامة على النذور ولكن هذه النذور اصابت رعايا روما بالصدفة كونها لم تحمي اليونانيين من الغزو ولما انتشرت المسيحية والتي قامت على مبدا ان المسيح فدى نفسه كما تزعم النصرانية وهو اعتقاد خاطئ جدا لنا كمسلمين الا ان الأوربيون تقبلوا هذه الفكرة فكتبت تعاليم العهد القديم والجديد التوراة والانجيل باللغة اليونانية لذلك انتشرت المسيحية ليس عن طريق الدعاة وتلاميذ المسيح بل من قبل الجنود والعبيد الرومانيين نظرا لحرية الحركة في ارجاء الامبراطورية الرومانية وشبكة الطرق قصرت المسافات للمبشرين المسيحيين وهي طرق برية وبحرية ودائما المبشرين أول ما يصلون الى الميناء ومنها ينتقلون إلى انحاء أوربا .

وبعد تعرض المسيحيون للاضطهاد من قبل نيرون متحديا اياهم بحرق روما وفعلا قيامه بحرقهم وتمزيق اجسادهم هذا الامر جعل الرومان يتعاطف معهم حيث ذلك سمح بعض الأباطرة بحرية ممارسة نشاطهم الأمر زاد من دخول اعداد كبيرة في المسيحية وثمة حادثة ساهم ويشكل كبير في صعود نجم المسيحية ان الامبراطور قسطنطين رأى مناما انه اذا انتصر في احدى معاركة سوف يعتنق المسيحية وهذا ما حدث بالفعل فاعتنق المسيحية في بداية الأمر كل المشكلة التي حدثت أن هناك اثنين من دعاة المسيحية فهما بوس و اثناسيوس قد اختلفا حول طبيعة السيد المسيح وجوهر الخلاف رغم اتفاقهما على أن المسيح كما

يدعون هو ابن الله و الابن والاب هما واحد لكن الخلاف على صلبه فالأثناسيوس أن المسيح حينما صلب القسطنطينية لتكون عاصمة مملكته وتكون خالصة للنصرانية و الابتعاد عن روما الوثنية وكذلك لكي ينشئ كنيسة خاضعة له لكي تكون موالية له ويعينه في اصدار القرارات التي تتخذها الأمر الذي اصغى على الكنيسة الارثوذوكسية صفة سياسية خاضعة للسلطة الامبراطور . و بمرور الزمن استطاعت كنيسة روما من نشر مذهبها في معظم أنحاء أوربا الغربية وبعد ان تعرضت الامبراطورية الشرقية لهزيمة قاسية على يد السلاجقة في معركة ملاذ كر ٤٦٣هـ هـ واسر الامبراطور رومانوس الثاني وافتداء نفسه بمبلغ مالي كبير قامت عليه ثورة قتل على اثرها شعرت أوربا بالخطر وحتى الكنيسة في روما كون الامبراطورية الشرقية كانت بمثابة خط الصد الاول لحماية اوروبا حين استنجد الامبراطور الكس كومنين بالبابا كري كوري أو كما سمته المصادر جريجوري السابع طالبا منه حث ملوك والهدف الذي لا يقل اهمية ان البابا كان يرغب بالسيطرة على بيت المقدس من المسلمين وبذلك يصبح الممثل الروحي للمسيحيين في العالم واستطاع البابا اوريان الثاني خليفة جرجيوري السابع ان يستثير أوربا . بالتركيز على نقطتين مهمتين هما :

الاول : استعادة بيت المقدس وانقاذ قبر المسيح المزعوم الذي ذكر انه يدنس من قبل الوثنيون كما يزعم وهو يعلم انهم مسلمون وهذه احدى المخالطات في الخطاب البابوي لرعاياه في اوروبا.

الثاني : التركيز على مسالة الحج وما يتعرض له هؤلاء الحجاج من مخاطر من قبل المسلمين كما يزعم وقد تمكن وقد تمكن احد القسيس وهو بطرس الناسك من تعزيز هذه المخالفات والذي عرف عنه بتعصبه وكرهه للإسلام و المسلمين وكان قد حج الى البيت المقدس وكان يبدي حقده الشديد على المسلمين وهو ما ذكره في التقارير الذي كان يبعثها إلى روما .

ولتفنيد هذه الادعاءات لابد لنا من العودة الى مسالة الحج في الدين النصراني حقيقة لا يخفى على الباحثين المطلعين مفادها أنه لا يوجد في الدين النصراني حج حتى القرن الثالث الميلادي ولعل أول من زار بيت المقدس احدى الراهبات وتدعى بوله وكانت رغبتها في هجر مباهج الحياة الدنيوية فأرادت التوجه الى المكان الذي ظهر به المسيح والعيش هناك وتقليد الكثير من الدعاة والرهبان الذين انتشروا في اماكن مختلف الاصقاع الامر الذي دفع بالكثير من الناس تقليدهم واقتفاء اثارهم فبذلك اقيمت عليها الكنائس و الأديرة حتى وصل الامر ان تحتفظ هذه الاماكن بمخلفات هؤلاء ووصل الامر ان يحتفظوا بعظهم او اصبح حتى منديل فكانت الكنيسة في الرها كانت تحتفظ بمنديل السيد المسيح على سبيل المثال لا الحصر هذا الامر شجع الكثير من الناس الى زيارتهم والتبرك بها هروبا من ضغوطات الحياة آنذاك .

خلاصة القول الحج لم يكن ركن من اركان الدين المسيحي ولم يأمر به عيسى (عليه السلام) مقارنة بالإسلام فضلا عن ذلك بدأت رحلات الحج في بادى الامر فردية لبعض الزاهدين و المغامرين كون موسم الحج يستغرق بضع سنوات لبعد المسافة بين القدس وانحاء مختلفة من اوروبا بل ان البعض كان يستغرق سبع سنوات من مفارقة الاهل وصعوبات في الطريق وما يتعرضوا له من مضايقات مسطوا من قبل العصابات وقطاع الطرق ثم ما لبث أن بدأت رحلات الجماعي وهو أكثر ملائمة من الحج الفردي كزنه أكثر امنا وتطور الأمر فيما بعد أن يرافق الحج مجموعة من الفرسان من قبل الكنيسة لحماية الحجاج كان تقل مقاتلين ولع من ابرز الفرق المقاتلة فرق الداوية و الاسبتارية .اما بخصوص المضايقات التي كان يتعرض لها الحجاج المسيحيون من قبل الحكام المسلمين ففيها الكثير من المخالطات و المبالغة فخلال القرون الاربعة الاسلامية الأولى كان النصارى يعيشون بحرية في ممارسة معتقداتهم بل ان كافة الاديان كانت تنعم بالحرية في ظل الدولة الاسلامية وشهد بذلك النصارى الوافدين من اوروبا والسكان المحليين. اما بخصوص الاعتداء على الحجاج فهي حالات فردية في حقب معينة من التاريخ الاسلامي وتحديدا في عهد الحاكم الفاطمي الحاكم بأمر الله وهو في حقيقة

الامر كان شخصية غريبة وسلوكه لم يكن بتجاه الحجاج فحسب وانما المسلمون تحت حكمه فقد ذكر المؤرخون بعض المواقف الطريقة حول شخصيته الغير متزنة فيروى ان من بحمام النساء وسمع الصراخ فما كان منه الا ان يأمر ببناء الباب على النساء وفي عهد السلاجقة ونتيجة للحروب بين السلاجقة والفاطميين وكذلك الامراء المحلين تعرضت بعض قوافل الحجاج لبعض المخاطر نتيجة للأوضاع السياسية المضطربة .

دوافع السياسية

تعد النبلاء والحكام والملوك الطبقة الثانية بعد رجال الدين وهي المتحكمة في اوروبا من الناحية السياسية فكان الملوك و الامراء ينتخبون من قبل النبلاء وهم السادة الاقطاعيون وكان نظام الاقطاع ويدعم من الكنيسة بفعل الوراثة للابن الأكبر الأمر الذي ترك الكثير من الاقطاعين لا مقاطعة لهم فهم عاطلون عن العمل (اذا جاز التعبير) فضلا عن ذلك ان نظام الاقطاع قائم على الفروسية اي كل اقطاعي له جيش من مقاطعته ملتزمون بالخدمة العسكرية من العبيد والاقنان في حالة تعرض الاقطاعية للخطر وكان الاقطاعيون في حروب دائمة فيما بينهما على النفوذ و محاولة التوسيع ذلك النفوذ وكانت تلك الحروب متعارف عليها لا يحرك البابا ولا الملوك ساكنا تجاهها وكانت تستنزف الكثير من الطاقات البشرية والمادية وكان دور الكنيسة والملوك هو فض النزاعات والخصومات بين النبلاء . وقد تخولت الكنيسة فيما بعض بإصدار فتوى وهي ما يعرف بهدنة الرب وهي أن يتوقف القتال في اوقات معينة من السنة . هذا الاقتتال كان سبب الفوضى في مختلف انحاء أوربا وتحديدا الامراء والملوك في اوروبا الامر الذي يصري الى التنسيق مع الكنيسة في ايجاد مخرج لذلك وبدل الاقتتال الداخلي استطاع البابا اوربان الثاني ان يوجه جيوش من الاقطاعين الذين لا يملكون الاقطاعيات الى قتال مقدس وهو التوجه لاستعادة الاماكن المقدسة . هذا الامر قوى سلطة البابا السياسية بشكل كبير وبالتالي دان الملوك والامراء لسلطة الكنيسة صاغرين كون فتوى الجهاد المقدس يعني استقرار اوروبا من الناحية السياسية الامر الذي تنفس ملوك اوروبا الصعداء فلا غرابة أن يسارع الملوك

شرقا وغربا الى استعطاف البابا والا سيتم حرمان بحقهم وتسقط عروشهم كما حدث مع هنري الرابع والبابا جريجوري السابع . وبذلك تحول البابا الى الرجل الاوحد والذي بإمكانه يجيش الجيوش بمختلف القوميات ومذاهبها بكلمة منه لابل وصل الامر الى قوى خارج اوروبا تحاول التعاون معه فقد ارسل الحاكم الفاطمي المستنصر إلى البابا طالبا منه التعاون معه لمواجهة عدوهم المشترك واللدود وهم السلاجقة الذين اجتاحوا اسيا الصغرى وهددوا ممتلكات البيزنطيين ومن ثم التوجه جنوبا الى بلاد الشام وازاحة النفوذ الفاطمي من بلاد عموما والبيت المقدس على وجه الخصوص فكان البابا هو المتحكم بالتوازنات السياسية في اوروبا داخليا وخارجيا ويستنشق من ذلك ان الجيوش الصليبية في الحملة الصليبية الأولى وتحديدا حملة الامراء كان هناك مفاوضات بين الامبراطور البيزنطي الكيس كومنين والامراء الصليبين امثال بلووق ويوحنه وجود فري وغيرهم واخذ المواثيق والقسم باستعادة ما فقدته الامبراطورية البيزنطية في بلاد الشام وتحديدا شماله مثل الرها وانطاكية مقابل السماح لهم بالمرور وتلبية احتياجات الجيش من المؤون ونقلهم الى البر الاسيوي. كما استطاع هؤلاء الامراء من تشكيل امارات صليبية في من الرها وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس بعدم نقضوا العهود ا لتي قطعوها للإمبراطور وتمكن الكثير من الامراء الاقطاعين من الحصول على الاقطاعيات في الشرق وهو ما دعا اليه البابا اوربان الثاني من قوله انكم ستتوجهون الى أرض حصينة شاسعة يستغرق المسير فيها شهرين . على ظهور الخيول وهو يفسر حجم المشاركة من النبلاء الاقطاعين بأعداد مهولة.